رقم البحث: 68

دراسة تحليلية حول السمات الفنية في الشعر العربي للشاعر الشيخ أجواد السريلانكي

محمد طالب بن إسماعيل

قسم اللغة العربية، جامعة شرق سريلانكا
thalibm@esn.ac.lk

ملخص

اهتم علماء جزيرة سريلانكا باللغة العربية فنونها وآدابها، بالرغم من أن أصول سكان هذه الجزيرة غير عربية. وقد استطاع بعض العلماء فيها أن يجعل اللغة العربية وعاءاً لشعورهم وفنونهم وأفكارهم. ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد أجواد. واستطاع الشيخ نظم القصائد العربية بالسمات الفنية التي تحلى بها الشعر العربي الأصيل. وتكمن مشكلة الدراسة من خلال ندرة الاهتمام في هذه الجزيرة بثروة الأدب العربي المتولدة في غير أرضها، وبسماتها الفنية، ولا يمكن الوصول لتلك السمات الفنية إلا بتحليلها وببيانها عن طريق دراسة ديوان الشاعر. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز السمات الفنية في شعر الشيخ محمد أجواد عن طريق تحليل العناصر الأدبية. ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي فنأخذ المعلومات عن طريق تحليل السمات الفنية وموازنتها في قصائد الشاعر وتوضيحها. فاستنتج البحث أن الشيخ أجواد قد كان لديه من ذوق أدبي وموهبة إبداعية رائعة. وكما أن الشيخ أجواد تمتع بالقدرة الفنية من حيث اللغة الشعرية والأسلوب والتجربة والأوزان. ومما تفيد هذه الدراسة، العرض التطبيقي على إمكانية صياغة شعر عربي في بيئة أعجمية مع تحليته بالسمات الفنية الخاصة به. وعلى دراسة مقارنة لسماته الفنية مع الأدب العربي الأصيل. ويوصي الباحث من خلال البحث أن يدرج شعر الشيخ أجواد كمقرر دراسي في المدارس رالعربية سريلانكا.

الكلمات الرئيسية: السمات الفنية، الشعر العربي، أجود عالم

مقدمة

هو الشيخ الشاعر العالم محمد أجواد بن حبيب محمد، وكان يكنى بأبي بِشْر، ويلقب بشيخ البَهْجَة، ويلقب أيضاً بخليفة الخلفاء (في الطريقة الشاذلية)، ويُدعى بالأستاذ الكبير (فاطمة فرحانة،2010). وقد اشتهر الشيخ العالم محمد أجواد بن حبيب محمد، باسم "الشيخ أجواد" بين طلابه والعلماء وعامة الناس، فيريد الباحث أن يستخدم هذا الاسم المشهور أثناء هذه الدراسة. فلا ريب أن معرفة الشيخ أجواد ونشاطه الأدبي فتحت آفاقاً واسعةً في إدراك المعايير العلمية، وقد كان عالماً بارزاً وشاعراً مبدعاً بين علماء سريلانكا. فتهدف هذه الدراسة إلى أن تدرس بعض العناصر الأساسية للقصائد العربية التي تداخلتها قصائد الشاعر الشيخ أجواد بكثير، وهي اللغة الشعرية، الأسلوب، التجربة الشعرية، أوزان الشعر. الأمر الذي يهمنا هنا أن الأبيات الشعرية التي تولدت في بيئة غير عربية، قد اتسمت بسمات فنية للشعر العربي الأصيل، وههنا مجال للتحكم على الشاعر الشيخ أجواد نظراً لموهبته الشاعرية وإبداعه الفني.

أولاً: اللغة الشعرية في شعر الشاعر الشيخ أجواد

يعرف الدكتور حسين علي الدخيلي اللغة الشعرية، بأنها مجموعة ألفاظ يتخيرها الشاعر يؤدي بها غرضه المراد (الدخيلي، حسين علي عبد الحسين، 2011). لقد تولى الدراسات النقدية لغة الشعر أهميةً بالغةً، وقد كان من عناية النقاد العرب قديماً باللغة، أن كثيراً من بحوثهم النقدية دارت حول اللغة عند الشعراء، فكان النقد اللغوي هو عمود النقد العربي برمته، وهذا الاهتمام لم ينشأ إلا نتيجة تنبه النقاد للأسرار الدقيقة في اللغة ألفاظاً وتراكيب، فاللغة الشعرية أهميتها وأثرها في النظرة النقدية للقصيدة (حيدر، محمد علي 2001). فندرس اللغة الشعرية التي استخدمها الشيخ أجواد في شعره، فنجد فيها السمات الفنية اللغوية الآتية، حيث يتسم شعره بانسجام الألفاظ والتراكيب اللغوية وشفافية المفاهم، وتسلسل الأفكار:

أ- إيراد المفاهيم بصورة واضحة

قد عمد الشيخ أجواد في لغته الشعرية إلى إيراد المفاهيم بصورة واضحة وشفافة، وبشكل منتظم ومسلسل حيث يسهل على المتلقي تجسيدها في مخيلته، وليس هناك تنافر ولا تعقيد، كما جاء في أبيات قصيدته الآتية:

تسمى ببهجي ليس عنده هـدى * فصار أسـيراً للجنايات والـردى

ونافـق أياماً لنـيل شـهـادة * يـربي بها بطـناً يسـرحـه سـدى

فلـما تـولى بـان أهـواء بـالـه * وبات نديماً للفجور ومـن عـدا

وظل يحب الرقص والضرب والغنا * فضلّ بآراء الغـواة من العـدى

أشبه هذا بالنسـاء تـظـاهـرت * وأبدين ما تحت الثـياب شفا الثدى

دعـاهن أهـواء القلوب إلى الخـنى * وترك سماع الخير والوعـظ والنـدا

(دين الحسن، 2010)

فلو تأملنا في أبيات هذه القصيدة، لوجدنا وضوح العبارات والألفاظ والمعاني حيث لا تعقيد فيها ولا غموض، وتنسجم هذه الألفاظ والعبارات والمعاني مع حالة بعض الطلاب، الذين يقضون أوقاتهم في المدارس العربية بدون جدوى، فأراد الشيخ أجواد بهذه الأبيات أن يعاتبهم عتاباً شديداً.

ب- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي

أما الاقتباس فقد عرفه البلاغيون "بأن يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك بأن يقول: قال الله تعالى أو قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أونحوه، فإن أشعر بذلك أو صرح به فلا يكون اقتباساً، بل يكون استشهاداً أو استدلالاً (فيود، بسيوني عبد الفتاح 2004).

ولاشك أن ظاهرة الاقتباس في شعر الشيخ أجواد تزيد أسلوبه قوةً ورصانةً وجمالاً؛ لأن القرآن أبلغ الكلام عرفته العربية؛ إذ لم يرق إلى القرآن أيّ كلام لغةً وأسلوباً ونظماً ويرجع فضل ذلك إلى حفظه لعديد من الآيات القرآنية، وتأثره بفصاحة القرآن الكريم، ودراسته للعلوم الشرعية وتفقهه في الدين، وعلى سبيل المثال نجد خير دليل على ذلك في قصيدة من قصائده حين ينتقد مبدأ "الشيوعية" بقوله:

ويل لأهل الأرض ممن قد هوى* في هُوّة حمراء أو من قد غـــوى

حسبوا السراب بقيعة مجدبـة * ماء لفرط العطش فيهـم والطوى

رفضوا الشريعة طاعةً لشيوخهم * ونـفوا إلـــه العـرش فالـق النوى

أبنـاء دهـر أنشبوا أظـفارهم * في أحسن البلدان ممن قد حـوى

علم الشريعة والهداة من الورى * وكـثير خيـر فاجتووا كل اجتـوا

صاروا أسارى ليس فيهم طاقة * أو حيلـة في الظعن عن هذا البوى

وبجانب آخـر قـوم أُتْرفـــوا * فـتهافـتوا وتقلبوا قِبَل الهـــوى

وتقلُّبُ الدنيا بأهـل ضلالها * أنساهم الرحمنَ خـالق القـوى

لكـن أقروا بالـلسـان بربهـم * والمرء يجني في القيامـة ما نـوى

من بينهم زعم يـراد ويقـتنى * بل في المدارس قد رواه مـن روى

في منـشأ الإنسـان أنه الذي * قد جاء من قرد مثالاً انطـوى

فتقلد الغرب الغريب وما جرى * مجراه في كل الأمور على السوا

كتقلد الروس التي ذهبت بهم * أحلامهم فوق السماء إلى الـهوا

نقص وشرٌ محضُ شر إذ يُرى * في الدسَم السمَ الذي لا يُحتوى

فالفوز كل الفـوز مع لـذاتـه * لمن ابتغى الإسلام ديناً فاحتوى

(دين الحسن، 2010)

وإذا تأملنا في الأبيات الشعرية للشيخ أجواد، نجد أن هناك نماذج مقتبسة من الآيات القرآنية كما يلي:

أ- يصف الشيخ أجواد مبدأ "الشيوعية"، وأصحابها وظنهم وطمعهم بها منتقداً بقوله :

"حسبوا السراب بقيعة مجدبة * ماء لفرط العطش فيهم والطوى"

وهذا التعبير مقتبس من لغة الآية القرآنية: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: الآية 39).

ب- ويقول الشيخ أجواد عن أتباع الشيوعية ورفضهم لدين الإسلام وإطاعتهم لأهواء شيوخهم كما يلي:

"رفضوا الشريعة طاعة لشيوخهم * ونفوا إله العرش فالق النوى"

وهذا التعبير الشعري مقتبس مما يرد في لغة آية القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام: الآية 95).

ت- ويقول الشيخ أجواد في آخر أبيات هذه القصيدة:

"فالفوز كل الفوز مع لذاته * لمن ابتغى الإسلام ديناً فاحتوى"

وهذا التعبير الشعري مقتبس من الآية القرآنية: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: الآية 85).

إن هذه الأبيات الشعرية السابقة بعض الأمثلة لاقتباس الشيخ أجواد في أبياته الشعرية من آيات القرآن الكريم.

وإذا درسنا النماذج لاقتباسه من الأحاديث النبوية، فنجدها أيضاً من خلال أبياته الشعرية، فعلى سبيل المثال:

أ- ينشد الشيخ أجواد شعره عن غربة الإسلام كما يلي:

"إني مررت بدين أحمد خاليا * يحثي التراب على العمامة باكيا"

وهذا التعبير مقتبس من الحديث النبوي الشريف: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): {أحثوا في وجوه المداحين التراب} (الألباني، 1988: الرقم 186).

ب- ينشد الشيخ أجواد شعره عن عتاب تجارة التصوير والمصورين:

"لا بارك الله المصور في الدُنا * لا أربح الله تجارةَ مَن دَنا

من آلة التصوير وفقاً للهوى * وتطلُّبًا للجاه من أهل الغِنى"

وهذا التعبير مقتبس من الحديث النبوي: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): {إذا رأيتم الرجل يبيع ويشتري في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة، فقولوا لا ردها الله عليك} (المباركفوري، 1963.شرح سنن الترمذي: الرقم 1321

ت- استخدام التراكيب المألوفة في الأدب القديم

وعندما ندرس في شعر الشيخ أجواد، نلاحظ أنه يستخدم المفردات والتراكيب المألوفة في الأدب القديم، حيث تظهر في لغته الشعرية أبنية لغوية وعبارات، لها صلة واضحة بمحفوظنا من تراث الأدب العربي القديم، كقوله:

يا ساريا في رحاب الأرض مسراها * بالله أخبرني عن بعض مدراها

هل من حديث طري يقرع الأذنا * يسر أسماعها إذ راق مرقاها

(دين الحسن، 2010)

في هذا البيت ينادي الشيخ أجواد:"يا ساريا في رحاب الأرض مسراها"، وهذا النداء مألوف، وصوت مسموع في النداء، الذي يرد في قصة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، مع سارية بن زُنَيم الدؤلي (رضي الله عنه) قائد الجيوش المسلمين في فتوحات بلاد فرس، حيث ينادي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يخطب على المنبر، فقطع خطبته وصرخ بأعلى صوته "يا سارية الجبل الجبل"إلخ (الألباني،1988: الرقم 1110).

وكذلك نلمح علاقة الشيخ أجواد مع الأدب القديم، عندما يصف ألم الفراق من بعض أحبته في ثنايا شعره بقوله :

لــذكرى الحبيب أطار الكرى * فكادت دموعي تبلّ الثـــرى

أنام أقيل ولا أستطيع * فإن هواكم بجســـمي سرى

(دين الحسن، 2010)

يبدأ الشيخ أجواد هذه القصيدة " لذكرى الحبيب" عندما يحس ألم الفراق من بعض أحبته، وهذا التركيب يشبه لما ورد في مطلع الشعر للشعراء الجاهلية مثل امرئ القيس حيث يقول:

قفا نبك من "ذكرى حبيب" ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(البستاني، كرم، 1986)

فيتفق الشيخ أجواد هنا مع امرئ القيس في أمرين، أولهما: استخدام التركيب (أي كلمة: "ذكرى الحبيب")، وثانيهما المناسبة (أي التعبير عن ألم المحبة والمودة).

فلا شك أن هذه الوجوه اللغوية تشير إلى الجودة اللغوية للشاعر الشيخ أجواد.

ث– ذكر تـاريـخ المنـاسبات

يذكر الشيخ أجواد بعض تاريخ المناسبات المهمة في سياق شعره، وذلك لما توفي أستاذه الكبير الشيخ العالم عبد الله بن أبي بكر، فقد قال الشيخ أجواد شعر المرثية، ويذكر فيها تاريخ وفاته كما يلي:

فداك أبي وأمي يارجائي * وروحي أنت محبوبي مرادي

ووافاه المنون بوقت عصر * يـوم الأربعاء شهر الولاد

لسبع باقيات من ربيع * بـخمس ثم سبعين وناد

بـألف بعدها مائة ثلاثة * فخذها خل جهد واعتياد

ويذكر الشيخ أجواد في الأبيات السابقة، أن أستاذه الكبير الشيخ العالم عبد الله بن أبي بكر قد توفي وقت العصر في يوم الأربعاء الموافق لتاريخ سبعة من شهر ربيع الأول عام 1375الهجري.

وكذلك يذكر الشيخ أجواد تاريخ الزواج في شعر التهنئة بماسبة حلول الزواج لأحد طلابه المطيع، هو الشيخ فتح الرحمن بن محمد عثمان البهجي فيقول:

ذاك الزواج الذي قد لاح مطلعه * في ثالث من سنين الهجر مبداها

في أربع من مئات ثم ألفكم * لأربع بقيت من صفر مولاها

في ليلة ليلة الاثنين ليلة ما * كانت ولادة خير الرسل ذكراها

يا رب ألف بما أحببت ياسندي * بين العروس وبين الزوج مرعاها

يذكر الشيخ أجواد في الأبيات السابقة، أن الشيخ فتح الرحمن بن محمد عثمان البهجي قد تم عقد زواجه يوم الاثنين الموافق لتاريخ الأربعة من شهر صفر عام 1403 الهجري.

وهذه السمات اللغوية مما يقرر موهبة الشاعرية عند الشيخ أجواد وتأهله لأن يعتبر أحد الشعراء الذين يتمتعون بتمكن في اللغة العربية، على الرغم من أن ولادتهم ونشأتهم وتثقفهم في بيئة غير عربية.

ثالثاً: الأسلوب

الأسلوب في اللغة: هو الطريقة والوجه والمذهب (ابن منظور، د.ت، ج1، ص473).

والأسلوب الأدبي، هو المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه (ابن خلدون، د.ت). ويعرفه أحد المحدثين بأنه الوسيلة التي ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وآرائه ومعانيه إلى الناس (خفاجي، محمد عبد المنعم 1949).

لو درسنا الأسلوب الأدبي في قصائد الشيخ أجواد، لنجد أن الشيخ أجواد قد كان لديه تنوع الأساليب في إلقاء الشعر العربي الذي يضفي قوةً وجمالاً على قصائده، وذلك:

أ- صدق التعبير وواقعية في اللفظ والمعنى

يتصف أسلوب الشيخ أجواد بصدق التعبير وبواقعية واضحة في اللفظ والمعنى، فكل كلمة من شعره ذات معان لها روح إيماني، واندفاع إسلامي نحو الإصلاح، ليس فيه شيء من ريآء ولا لغو، فقد كان الشيخ أجواد عالماً بارعاً لايخاف إلا الله، ولا يخاف لومة لائم، وشاعراً يبتعد عن مفاتين الغزل والحب، ولم يبتغ شهرة بشعره وبديلاً دنيوياً، فكان ناقداً منصفاً ومعاتباً محسناً، حيث كان يواجه المشاكل بطريقة مباشرة.

وفي هذا الصدد، يحسن هنا أن نورد بعضاً من قصائد الشيخ أجواد على سبيل المثال التي تكشف عن أسلوبه الذي يتميز بصدق التعبير وواقعية واضحة في اللفظ والمعنى:

أيا من يكتب الفتوى * لمن لا يحسن التقوى

لكون المال كالحلوى * ألا تخشى من البلوى

فجل مرادكم مال * فكنتم شر من مالوا

إلى الدنيا وقد جالوا * مجال اللهو في الدعوى

قمار اليوم في حل * لنيل القل بالجل

وباسم الدين في الكل * أضلوا كل من يغوي

(دين الحسن، 2010)

وُجِّه هذا الشعر من الشيخ أجواد إلى عالم معين في شرق سريلانكا، فكان يكتب الفتوى لبعض الأشخاص الذين أيدوا مسألة القمار بسباق الخيل المشروع استدلالاً على الرأي والعقل، حيث طلبوا بكتابة الفتوى من ذلك العالم لحسن خطه، فكتبها ذلك العالم، فرأى الشيخ أجواد هذا الأمر بخطورة؛ لكون كاتب الفتوى من العلماء، ولكتابته الباطل لأجل المال، فعاتبه الشيخ أجواد بهذا الشعر، فنُبهت العالم، ولم يرد عليه رغم كونه شاعراً متمكناً في اللغة العربية (فتح الرحمن، 2014).

وإذا تأملنا في الأبيات السابقة نلحظ أن الشاعر الشيخ أجواد يعبر عن صدق التعبير وواقعية بصورة واضحة حيث ينادي العالم الذي كان يكتب الفتوى تأييداً لمسألة القمار بقوله الصريح "أيا من يكتب الفتوى". وكذلك يشير الشاعر الشيخ أجواد إلى الأناس الذين طلبوا كتابة الفتوى بقوله "لمن لا يحسن التقوى"، ويصرح أن ذلك الإثم من عدم حسن التقوى لديهم، ويصف الشاعر قصدهم الحقيقي وذلك لأجل كسب المال بدون خشية الله وابتلائه الشديد.

ب- الهدفية والالتزامية

الهدفية: أن يشمل الشعر على هدف معين (Objective oriented)

الالتزامية لغةً: هو التعلق وعدم المفارقة (ابن منظور، د.ت).

اصطلاحاً عند الأدباء: فهو أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكراً محدداً من الأفكار، أو عقيدةً من العقائد، أو نظريةً من النظريات، أو فلسفةً من الفلسفات سواء أكان ما يلتزم به دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم نحو ذلك، بحيث يكون أدبه نابعاً مما اعتقده ممثلاً لما اعتقده، غير حائد عنه أو خارج عليه (رأفت الباشا، عبد الرحمن 1985).

فيتميز أسلوب الشاعر الشيخ أجواد بالهدفية والالتزام حيث يوظف شعره غالباً إلى هدف الإصلاح ويلتزمه لحسم المشكلات الاجتماعية التي كانت تسود في عصره باسم الحضارة، فيقول:

أما الحضارة والتقدم في الدّنا * فتبوّأوها واستشاروا باغيا

حتى أطاعوا كل شيطان يرى * أصل الشريعة مسكراً ومرديا

فقدوا المروءة والعدالة والتقى * وكذا القناعة والطهارة والحيا

لكن نواحي الأرض لا تخلو عن الـ * ـصلحاء إن كان الفساد فاشيا

(دين الحسن، 2010)

ينشد الشاعر الشيخ أجواد هذه القصيدة مستهدفاً لإصلاح الأمة الإسلامية التي اغترت بمتعة الدنيا وحلواها، ويظهر التزام الشاعر حيث يقول: "أطاعوا كل شيطان يرى أصل الشريعة مسكراً ومردياً" ويقول أيضاً "فكيف لا أبكى على ما نابني من أهل دين" ويقول أيضاً "فدعائم الدين المحمدي الذي عم البلاد قويةً" وهذه العبارات كلها توضح إخلاص الشاعر وصدقه وشغفه في دين الإسلام الحنيف، وهذا هو المراد بالتزام الشاعر.

ويقول الشاعر أيضاً شعره بهدف إصلاحي حين ينتقد عادةً "إيقاد مصباح القدس" في المحافل:

وعادات المجوس تعودوها * بإيقاد لأعياد السنينا

ويأتوا كل حين بالمعاصي * فهذا الدهر دهر المجرمينا

ألا يا عالماً أحكام شرع * أنرضى بالحرام إذا دعينا ؟

(دين الحسن، 2010)

وهكذا نرى الشيخ أجواد يوظف شعره، ويجعله ذا هدف إصلاحي، وينصح به المجتمع من عوام الناس إلى العلماء حول المشاكل الاجتماعية، والقضايا الثقافية. ويظهر التزام الشاعر في دين الإسلام واضحاً في سؤاله عند العلماء بقوله : أنرضى بالحرام إذا دعينا ؟.

ت- براعة التصوير الفني

يعد التصوير الفني جانباً من جوانب الصياغة الجمالية المولدة للمعنى في العملية الإبداعية، إذ بواسطة التصوير يتم استنطاق المعاني الكامنة في الذهن وإخراجها إلى الواقع المادي في تعبير مميز، وإيحاء دلالي خاص يركن إلى جعل "الصورة المجازية تحل محل مجموعة من العبارات الحرفية، إنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الحرفية، وإنما تنحرف به، فتبرز له جانباً من المعنى، وتخفي عنه جانباً آخر، حتى تثير شوقه وفضوله، فيقبل المتلقي على تأمل الصورة، وعندئذ ينكشف له الجانب الخفي من المعنى (عصفور، جابر أحمد 1992).

يتميز أسلوب الشيخ أجواد ببراعة التصوير، ونرى ذلك عندما يصف حالة بعض الناس الذين يرتزقون بشهادة العلم، لأن المدارس تقدمها لشخص يتم الدراسة، ولكن بعض الناس يستخدمونها لمجرد الكسب والارتزاق، فيصور الشيخ أجواد هذا الأمر بصورة رائعة دقيقة هزلية، فما أجمل تصويره، وما أدلّ معناه في قوله :

قال الفتى لفـتاة كان يهـواهـا * حتى غـدت غادةً يرضى بفتـواها

كيف السبيل إلى عيش نلذ به * أو عزة في ثيـاب القـلب نرضاها

كي لا نعـيش على فقر أضر بنا * طول الحياة التي قد فـات مهـواها

قالت تروح إلى صدر المدرسة * تبغي شهادة علم كنت تشهاها

لكن تقول له إني لحبر من ال * أعلام قد طـار في الأنحاء ذكراها

أتيت أهل العطا في حاجة وعلى * عزم القضاء من الحاجات أقصاها

إن نلتها سهلت طرق المعيشة وال* أوطـار من عز دنياها وملهاها

قال الحبيب لها شكراً لحكمتها * واهـــا لغادتنا واهـــا لها واهـا

(دين الحسن، 2010)

نجد أن هذه القصيدة تصور بأن الشاب يستشير عاشقته عن سبيل الكسب في المستقبل، فتشير له تلك المرأة إلى التحاقه بإحدى المدارس العربية حتى يحصل على شهادة العلم، لغرض الكسب بها لتجري عجلة المعيشة في المستقبل، فيثني الشاب على عاشقتها لحسن فكرتها.

وكما يصور الشيخ أجواد في شعره بأن دين الإسلام حي ناطق، يجيب عما يُسأل عنده عن الغربة التي حلت به، فيقول:

إني مررت بدين أحمد خاليا * يحثي التراب على العمامة باكيا

فسألت عن سبب البكاء وحزنه * مستفهماً عـما دهاه مبـاديـــا

فـتنفس الصعــداء بـعد تـفـكر * ومـشــى إلي مهـرولاً وملبــيـا

شـرح المقالـة بعد طول ندامــة * فغدا يقول مخـاطباً وشـاكيــا

(دين الحسن، 2010)

وهذا ما نجد أن الشيخ أجواد يصور غربة دين الإسلام وشكواه، بأنه يتنـفس ويحدث عما يعانيه من هجر أهل الإسلام عنه، غروراً من الدنيا وما فيها من متعة حلوى.

رابعاً: التجربة الشعرية

التجربة الشعرية من أهم عناصر بناء القصيدة، فهي المشاعر والأحاسيس التي تسيطر على الشاعر نحو الفكرة أو الموقف الذي يتعرض له الشاعر.

ويـرى الدكتور شوقي ضيف "أن ليس كل ما ينظمه الشعراء من شعر يعد تـجربةً شعريةً كاملةً؛ إذ لابد للتجربة من عناصر كثيرة تستوفيها، لكي تكون عملاً شعرياً تاماً، وهي مواد مردها إلى أنها حدث له بدء ونهاية، وهذا الـحدث قائم بذاته له ميزة، وله طوابعه وصفاته التي تشيع فيه والتي تشخصه، حتى إذا قرأه أو سمعه أحد تراءى له في صورة بينة وعلى شاكلة لم يسبق له أن قرأها أو سمع بـها، (ضيف، شوقي 2013).

أما تجربة الشاعر الشيخ أجواد فـتجربة تعتمد على تراكم مجموعات من التجارب الذاتية النابعة من حياض تـجربة التعلم والتعليم. وهذه التجربة هي الأولى، وأَولى به، رغم كون ترابطه مع سائر الأحاسيس والعوامل الـخارجية من شؤون اجتماعية. فديوان الشاعر أجواد يـحفل بالقصائد التي تعبر عن مـختلف الـحقائق الواقعة تدور بين الطلاب والمدارس، وبين العلماء والمجتمع، وبين أمور الدين وقضايا المجتمع، وعلى سبيل المثال:

مدارس تسعى وراء الهوى * لنيل المطالب ممن هوى

تباهي تـماري تــرائي ولا * تداني الرشاد وما قد حوى

شهادات علم تـجازي بـها * إلى كل أبله أو من بـــوى

ومن كان جاهل حكم الإله * في الفعل والقول أوما نوى

(دين الحسن، 2010)

وفي هذه القصيدة، يعاتب الشيخ أجواد بعض المدارس التي تخرج غير المؤهلين سنوياً باسم العلماء. وقد حاورت بخصوص هذا العتاب مع بعض طلاب الشيخ أجواد (2014) وذكروا أن الشيخ أجواد كان مدرساً خبيراً ومديراً بارعاً في إحدى أمهات المدارس العربية، هي مدرسة البهجة الإبراهيمية. وقد ارتكزت لديه خبرة عظيمة في التدريس والإدارة، وتعاون معه العلماء المؤهلون في هيئة التدريس. وفي الحقيقة أراد الشيخ أجواد أن يكون العلماء المتخرجون من المدارس العربية، أئمة المجتمع ورؤساءه، يقدرون على حل المشاكل التي يواجهها المجتمع. ولكن للأسف أن هنالك بعض المدارس العربية أخذت تخرج غير المؤهلين كعلماء سنوياً؛ إذ أن تلك المدارس كان هدفها الكسب لبعض الناس، وليس فيها علماء متقنون في هيئة التدريس، فكيف يكون حال الطلاب؟ وكيف يواجه هؤلاء الطلاب المتخرجون مشاكل المجتمع؟ فيصف الشيخ أجواد هذه المعضلة على هذا الشكل.

وهذه القصيدة تبرز خبرة الشيخ أجواد وتجربته في شؤون المدارس وطلابها؛ لأنه لم يرض بتاتاً عن إضاعة الطلاب الأبرياء وأيامهم في المدارس المخادعة باسم التعلم، وخسارتهم في الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

خامساً: أوزان الشعر

قد رأى النقاد أن الوزن هو أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية (ابن رشيق، القيرواني 1981).

من الواضح أن الشعر العربي يتكون من كلمات منتظمة، ومتناسبة تبعاً لتعاقب الحركة والسكون، الأمر الذي يجعل للشعر، وزنه المتميز وإيقائه الخاص به، كما يرى إبراهيم أنيس "والموسيقى أبرز صفات الشعر؛ لأن القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي" (أنيس، إبراهيم 1982).

أ– أوزان الشعر التي استخدمها الشاعـر

إن الشاعر الشيخ أجواد نظم شعره في البحور المختلفة من البحور التقليدية التي أوجدها الخليل بن أحمد الفراهيدي وننظر إليها مع الأمثلة:

1- البحر الطويل: تفعيلات هذا البحر تتألف من: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن – فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) (مناع، هاشم صالح 1995). فيقول الشاعر الشيخ أجواد شعره في هذا البحر:

تسمى ببهجي وما عنده هدى * فصار أسيراً للجنايات والردى

ونافـق أيـــاماً لنيـــل شهـــادة * يُربَي بها بطناً يُسرِّحه سُـــدى

2- البحر الكامل: تفعيلاته تتألف من (متفاعلن متفاعلن متفاعلن – متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مثلاً:

إني مررت بدين أحمـد خـــاليا * يحثي التراب على العمامة باكيا

فسألت عن سبب البكاء وحزنه * مـستـفهـماً عـما دهـاه مبـاديـا

3- البحر البسيط: تفعيلاته تتألف من (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن – مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) (مناع، هاشم صالح 1995) ينشد الشيخ أجواد شعره في البحر البسيط:

يا ضربةً من خبـيث قد أراد بها * فَتْـكا لصهر رســول الله خــذلانـا

إنا لنلـــعنه في كـل ســاعـتـنا * أَبشرْ بنار لــظى إذ صــرتَ شيطـانـا

4- البحر الوافر: تفعيلاته تتألف من (مفاعلتن مفاعلتن – مفاعلتن مفاعلتن) (مناع، هاشم صالح 1995) ينظم الشيخ أجواد شعره في البحر الوافر مثلاً:

إذا كان القضاة مصورينا * فكيف يكون حال العالمَينا

وعـادت المجوس تعودوها * بـإيـقاد لأعيـاد السنـيـنا

5- البحر المتقارب: تفعيلاته تتألف من (فعولن فعولن فعولن فعولن – فعولن فعولن فعولن فعولن) (الغوج، أحمد سالم 2013) ينشد الشاعر الشيخ أجواد شعره في هذا البحر مثلاً:

سلام عليكم أيا أزهـري * أتاك الكتـاب فلا تزدر

أجبني جوابـاً طريــاً بلا * تَوانٍ فإن السـؤال حري

6- بحر الرجز: تفعيلاته تتألف من (مستفعلن مستفعلن مستفعلن – مستفعلن مستفعلن مستفعلن) (مناع، هاشم صالح 1995) ينشد الشاعر الشيخ أجواد شعره في هذا البحر مثلاً:

يا أهـلَ مصرَ حــصِّنوا دِيـارا * دياركم بالمنع عن سُكارى

قوموا بسيف الله في الصحارى * وقاتلوا اليهــود والنـصارى

7- بحر الهـزج: تفعيلاته تتألف من (مفاعيلن مفاعيلن – مفاعيلن مفاعيلن) (مناع، هاشم صالح 1995) وينشد الشاعر في بحر الهزج شعره مثلاً:

ألا يا أهـل إسبال * ألســتم أهل إضــلال

بلـى والله في الحال * تَنــاهَوا عن هَـوى البال

وبالجملة يتضح لنا، أن الشاعر الشيخ أجواد استخدم سبعة أبحر لصياغة قصائده العربية. وهي من بحور الشعر الستة عشر التي أوجدها الخليل بن أحمد الفراهيدي. فنجد حين ندرس قصائده الشعرية في ديوان الشيخ أجواد، أنها صيغت ثلاث قصائد من البحر الطويل، وأربع قصائد من البحر الكامل، وثمان قصائد من البحر البسيط. والبحر البسيط هو أكثر استخداماً عند الشاعر. وصاغ خمس قصائد من البحر الوافر، وأربع قصائد من البحر المتقارب، وثلاث قصائد من بحر الرجز وقصيدة واحدة من بحر الهجز.

ب– مميزات الشيخ أجواد في استخدام الأوزان الشعرية

عندما ننظر إلى جميع القصائد الشعرية للشيخ أجواد نجدها تماثل قافية الشطر الأول وقافية الشطر الثاني في مطلع القصيدة، وهو الذي يسمى "التصريع" (الغوج، أحمد سالم 2013) ويجدر بالذكر في هذا الموضع، أن إيراد التصريع في مطالع القصائد كلها سمة من السمات الفنية عند الشعراء ذوي الخبرة والعبقرية.

ويمتاز الشاعر الشيخ أجواد بسمة "التصريع" حيث يورده في كل أبيات من إحدى قصائده الشعرية حين ينشد شعره غيرةً على دين الإسلام واعتزازاً به، بقوله:

يأهلَ مصرَ حصِّنوا دِيارا * ديـاركم بالمنع عن سُكارى

قوموا بسيف الله في الصحارى * وقاتلوا اليهود والنصارى

حتى يصير جُلّهم أَسارى * ولا تكونوا عُصبة حَيارى

ولا تطيعوا ثعلباً حمارا * بل اشتروا السلاح ممن دارى

أبناء غَدْر نافقوا نهارا * وعاوَنوا العدو ليلاً وارى

أعداء إسلام أتوا جهارا * فانتبِهوا وحاذِروا حِذارا

واعتصِموا بالله واخشَوا نارا * ولا تَوَلَّوا غيره دَيَّارا

(دين الحسن، 2010)

وهذه القصيدة تتفق قوافي الصدر مع قوافي العجز في كل أبيات هذه القصيدة، وهو التصريع. وكذلك قد حقق الشاعر الشيخ أجواد في هذه القصيدة تراجيع وأصداء موسيقية، زادت من جمال القصيدة وقوتها.

وإضافة إلى ذلك، نجد في هذه القصيدة ما يدل على تأنق الشاعر في اختيار ألفاظه، ويجانس بين حروفها، ويناغم بين أصواتها، حتى تتوافق الموسيقى الداخلية والخارجية، وذلك باستخدامه للألفاظ المستظرفة

الآتية: دِيارا – سُكارى \ صحارى – نصارى \ أسارا – حيارا \ حمارا – دارا \ نهارا – وارى \ جهارا – حذارا \ نارا – دَيّارا.

وقد استفاد الشيخ أجواد من التناسب الصوتي الذي وجده في الأوزان التقليدية مثل غيره من الشعراء، ويبدو لنا أن البحور الستة عشر التي أوجدها الخليل بن أحمد الفراهيدي، تمثل في الواقع تنوعاً موسيقياً واسع المدى، وتتيح للشعراء الذين صاغوا القصائد العربية في بيئة عربية أو في غيرها، أن ينظموا في دائرتها عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم، دون أن يجدوا ضيقاً أو حرجاً يضطرون معه إلى محاولة الخروج على هذه البحور.

الخلاصة

إن الشعر العربي الذي نظمه الشاعر الشيخ الأجواد السريلانكي، قد اتسم بسمات فنية من جانب اللغة الشعرية حيث يتميز شعره بسهولة الألفاظ، ووضوح المعاني، والاقتباس من القرآن والحديث النبوي، واستخدام الألفاظ والتراكيب المألوفة في الأدب القديم والحديث. وتميز شعره بصدق التعبير والهدفية وبراعة التصوير من جانب الأسلوب. وتميزت التجربة الشعرية عند الشيخ أجواد بتراكم تجاربه بين طلاب العلم والمدارس العربية، والعلماء والمجتمع. وإضافة إلى ذلك، نجد أن الشاعر الشيخ أجواد قد صاغ قصائده الشعرية في بحور الشعر القديمة التي أوجدها الخليل بن أحمد الفراهيدي، واستخدم منها سبعة أبحر شعرية، فأكثرها استخداماً هو البحر البسيط. وقد امتاز الشيخ أجواد بـ"التصريع" في جميع مطالع القصائد العربية في ديوانه، وهذه السمات الفنية تبرز الإبداع الفني عند الشاعر.

المراجع:

القرآن الكريم

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. د.ت. *تاريخ ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"*. د.ط. القاهرة. دار الفكر العربي.

ابن رشيق، القيرواني. أبو علي الحسن. 1981م. *العمدة*. ط 5. ج 1. بيروت : دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة.

ابن منظور، محمد ابن مكرم. د.ت. *لسان العرب*. ط 3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الألباني، محمد ناصر الدين.*1988م. صحيح الجامع الصغير وزيادته ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الجامع الكبير). ط 3*. الرياض: مكتبة المعارف.

أنيس، إبراهيم. 1982م. *موسيقى الشعر العربي*. ط 4. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

البستاني. كرم.1986م. *ديوان امرإ القيس*. ط 1. بيروت: دار الطباعة والنشر.

حيدر، محمد علي. 2001م. *عبد الله البردوني دراسة في التطور الفني والدلالي (رسالة ماجستير)*. القاهرة: جامعة عين الشمس

خفاجي، محمد عبد المنعم. 1949م. *ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان*. ط 1. القاهرة: مكتبة الحسين التجارية.

الدخيلي، حسين علي عبد الحسين. 2011م. *دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي*. ط 1. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

دين الحسن، 2010م. ديوان الشيخ أجواد. ط 1. سريلانكا: كلية ابن عباس ببلدة "جالي"

رأفت الباشا، عبد الرحمن. 1998م. *نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد*. ط 4. القاهرة: دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع.

ضيف، شوقي. 2013م. *في النقد الأدبي*. ط 9. القاهرة : دار المعارف.

عصفور، جابر أحمد. 1992م. *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*. ط 3 . المغرب : المركز الثقافي العربي.

الغوج، أحمد سالم 2013م. *فنون التعبير الأدبي*. ط 1. عمان : دار الفتح للدراسات والنشر.

فاطمة فرحانة عبد الرحمن. 2010م. *العالم الفاضل محمد أجواد فقيه العصر وزينة الدهر*. د.ط. سريلانكا: دار الإمام عبد العزيز بن باز لتعليم البنات ببلدة "مالوانا".

فيود، بسيوني عبد الفتاح. 2004. *علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع*. ط2. القاهرة: مؤسسة المختار.

المباركفوري، محمد عبد الرحمان بن عبد الرحيم. 1963م. *تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي*. ط 2. مطبعة المعرفة. القاهرة:

مناع، هاشم صالح. 1995م. *الشافي في العروض والقوافي*. ط 3 . بيروت: دار الفكر العربي للطباعة والنشر.